

تحليل السياسة الخارجية للتنظيمات الجهادية في منطقة الساحل والصحراء

ياسر حجازي تمام سالم*

ملخص

تتحدد إشكالية هذه الدراسة في كيفية تحليل السياسة الخارجية للتنظيمات الجهادية في منطقة الساحل والصحراء؛ هذه المنطقة الإستراتيجية التي أصبحت ملاذاً آمناً لشبكات التنظيمات الجهادية، والتي تسيطر على مساحات كبيرة منها، وتمثل تهديداً للأمن الدولي، ومن ثم يكون التساؤل المطروح كيف يمكننا تحليل السياسة الخارجية للتنظيمات الجهادية، وما هو النموذج الأمثل الذي يمكننا استخدامه للتحليل، وما هو الواقع الجيوبولوتيكي لمنطقة الساحل والصحراء والتي جعلتها منطقة خصبة لنمو وتوسع التنظيمات الجهادية، وينقسم هذا البحث إلى قسمين :

القسم الأول : يبحث في الإطار التحليلي وتطبيق نموذج لتحليل السياسة الخارجية للتنظيمات الجهادية كفاعلات مسلحة من غير الدول، مع تحليل المدخلات والمخرجات وبيئة هذا النظام، وكيفية التفاعل بينها، حيث أن البيئة التي تعمل فيها التنظيمات الجهادية بيئات مفتوحة، وليست مغلقة على نفسها وبالتالي هناك حركة وتفاعلات مستمرة في النظام.

أما القسم الثاني: فنقوم فيه بتحليل جيوبولوتيكي لمنطقة الساحل والصحراء كبيئة حاضنة للتنظيمات الجهادية، وأهم العوامل والمحددات التي تجعلها منطقة خاضعة بشكل كبير لنفوذ التنظيمات الجهادية المختلفة .

الكلمات المفتاحية: تحليل السياسة الخارجية -التنظيمات الجهادية- منطقة الساحل والصحراء .

* باحث ماجستير العلاقات الدولية، قسم العلوم السياسية، كلية التجارة وإدارة الأعمال -جامعة حلوان .

analyze the foreign policy of jihadist organizations in the Sahel and Sahara region

Abstract

The problem of this study is determined by how to analyze the foreign policy of jihadist organizations in the Sahel and Sahara region, this strategic region, which has become a safe haven for networks of jihadist organizations, which control large areas of them, and represent a threat to international security, and then the question is how can we analyze the foreign policy of jihadist organizations, what is the ideal model that we can use for analysis, and what is the geopolitical reality of the Sahel and Sahara region, which has made it a fertile area for the growth and expansion of jihadist organizations, and this research is divided into Two

First Section: Discusses the analytical framework and the application of a model for the analysis of the foreign policy of jihadist organizations as armed forces of non-countries, with analysis of inputs , outputs and the environment of this system, and how to interact between them, since the environment in which jihadist organizations operating are open environments, not closed to themselves, and therefore there are movements and interactions continuing in the political system.

The second section: We analyze the geopolitical region of the Sahel and Sahara region as an incubator environment for jihadist organizations, and the most important factors and determinants that make it an area largely under the influence of various jihadist organizations.

Keywords: Foreign Policy Analysis - Jihadist Organizations - Sahel and Sahara Region.

مقدمة:

لقد أصبح للتنظيمات الجهادية دوراً حيوياً ومؤثراً في السياسة الخارجية والدولية، وقد واجه الباحثون صعوبات كثيرة متمثلة في إحصار الدراسات والنظريات في تحليل السياسة الخارجية للدولة دون وجود تنظير حقيقي، ونماذج واضحة يمكن من خلالها تحليل السياسة الخارجية للتنظيمات الجهادية، واقترح بعض الباحثين دمج الفواعل المسلحة من غير الدول مع الفواعل الدولية من حيث نماذج التحليل، ورأى البعض الآخر ضرورة تطوير، أو تصميم نماذج جديدة للتحليل، ومع صعود التنظيمات الجهادية في منطقة الساحل والصحراء في أفريقيا، وسيطرتهم على مساحات شاسعة من الأراضي، باتت المنطقة هي المركز الرئيسي لأنشطة الشبكات الجهادية العالمية مثل الدولة الإسلامية وشبكة تنظيم القاعدة متمثلة في "جماعة نصرة الإسلام والمسلمين"، وهذه المنطقة التي تعاني من سوء توزيع الموارد الإقتصادية، والتنوع والصراع الإثني، وإنتشار شبكات الجريمة المنظمة، والهجرة غير الشرعية، وكذلك فشل وضعف الدول الوطنية لأسباب تتعلق بالفساد، وضعف الموارد، وعدم وجود شعور بالهوية الوطنية، مما جعلها بيئة جاذبة قوية للتنظيمات الجهادية ولأيديولوجيتها السلفية الجهادية، والتي جعلتها بديلاً عن الإلتزام الوطني، والإثني، كما انتشرت شبكات الجريمة المنظمة، وباتت المنطقة معبراً للسلاح والمهاجرين غير الشرعيين، خاصة بعد سقوط النظام الليبي عام 2011، وإنتقال مالي 2012، مما جعل تدفقات السلاح والمقاتلين في المنطقة لا يمكن حصرها ولا تحجيمها، ومازالت المنطقة تعاني حتى اليوم.

أولاً : الإطار التحليلي للسياسات الخارجية للتنظيمات الجهادية في منطقة الساحل والصحراء .

1-مدخل لتحليل السياسة الخارجية للتنظيمات الجهادية كفاعل من الفواعل المسلحة من غير الدول :

يُعتبر تحليل السياسة الخارجية للتنظيمات الجهادية والفواعل المسلحة من غير الدول مجالاً تجريبياً حديثاً ،لايزال يحتاج لمزيد من الدراسات التجريبية والنظرية ،حيث ظل تحليل السياسة الخارجية يركز على الدولة ،لكن مع تصاعد دور الفواعل المسلحة من غير الدول بدأ التوجه الأكاديمي نحو مزيد من الأبحاث لفهم الظاهرة.¹ وبعد صعود تنظيم الدولة الإسلامية كفاعل مسلح من غير الدول - رأى مايكل جونتر **Michael Gunter** أن "هذا الوضع سيدعو إلى نموذج جديد لتصنيف و فهم الواقع الجيوبوليتيكي المتغير".² فقد انتقلت السلطة من الدولة إلى الفواعل من غير الدول إلى مجال السياسة الخارجية وباتت الفواعل من غير الدول تعمل كجهات فاعلة مستقلة مؤثرة بشكل كبير على السياسة العالمية.³

¹Darwich , MAY, Foreign Policy Analysis and Armed Non-State Actors in World Politics: Lessons from the Middle East. **Foreign Policy Analysis**,2021 . <https://doi.org/10.1093/fpa/orab030> ,Accessed on 12 December 2021.P1.

²Van den Berge, Wietse ,” Analyzing Middle Eastern Armed Non-State Actors’ Foreign Policy”, **Global Security Studies**, Summer 2016, Volume 7, Issue 3,17October2017,P15.

³ Van den Berge, Wietse ,” Analyzing Middle Eastern Armed Non-State Actors’ Foreign Policy”,Op.Cit.,P13.

وتتحدى الفواعل العنيفة من غير الدول سلطات الدولة باستخدام القوة المسلحة، بل تتعدى لإقامة علاقات خارجية وتنفيذ ما يشبه السياسة الخارجية سواء مع الدول أو مع فواعل أخرى من غير الدول.⁴

وتكتسب الفواعل العنيفة من غير الدول شرعيتها من خلال مجموعة من الاستراتيجيات التي تشمل سد ثغرات في أداء الدولة والإعتماد على الأيديولوجية الدينية لبناء هوية مشتركة وبالتالي تقوم باستخدام أدوات سياسية لتوزيع الثروة من خلال الإختطاف مقابل الفدية، أو السيطرة على الموارد الطبيعية مثل النفط والمعادن، وكذلك مصارف الزكاه والصدقات وتبرعات الجمعيات الخيرية-وهذا ما تقوم به التنظيمات الجهادية في الساحل والصحراء - وتحدي الدول القائمة التي تعتبرها أجزاء كبيرة من السكان غير شرعية.⁵

و الشرعية مطلب أساسي في جميع علاقات القوة، فبدون الشرعية تُمارس السلطة عن طريق الإكراه، ولكن مع وجود الشرعية، يمكن ممارسة السلطة من خلال إمتثال طوعي أو شبه طوعي.⁶

والإمتثال شبه الطوعي هو الإمتثال بدافع من الرغبة في الإمتثال ولكنها تكون مدعومة بالإكراه الذي يضمن أن المجتمع سوف يطيع الفواعل الدولية من غير الدول.⁷

⁴ Darwich , MAY, **Foreign Policy Analysis and Armed Non-State Actors in World Politics: Lessons from the Middle East**,Op.Cit,P1.

⁵ Mc Cullough , A. **The legitimacy of states and armed non-state actors**: (UK: GSDRC, Topic guide, Birmingham University of Birmingham,2015) ,P5.

⁶ McCullough, A. **The legitimacy of states and armed non-state actors**, Op. Cit. , P3

و تستند دراسة السياسة الخارجية على التمايز بين المجالات الداخلية والخارجية للدول ولكن مع التطور في العلاقات الدولية، وظهور فواعل عنيفة مؤثرة من غير الدول، فإن الدراسة التقليدية للسياسة الخارجية، كتمارسه تنحصر في الدول ذات السيادة، لا يمكنها التمييز بين سلوك السياسة الخارجية والداخلية.⁸ وهنا يمكننا أن نتساءل هل تُعتبر السياسة التي تنتهجها الفواعل العنيفة من غير الدول-مثل التنظيمات الجهادية- تجاه جهة فاعلة أخرى أو دولة داخل نفس المنطقة (سياسة خارجية) أم لا؟!⁹ والتنظيمات الجهادية هي جهات فاعلة عنيفة من غير الدول، وهي الأكثر تعقيداً وتنوعاً، وعادة ما يتم التعامل مع السياسة الخارجية بطريقة تركز على الدولة، وينبغي توسيع نطاق هذا النهج مع دخول الجهات الفاعلة المسلحة من غير الدول، إلى الساحة السياسية وزيادة نفوذها، لذلك، فإن استخدام تعريفات تقليدية للسياسة الخارجية مثل نموذج الفاعل الرشيد (العقلاني)، أو نموذج السلوك التنظيمي، أو ونموذج السياسة الدولية، وهي توضح ثلاثة طرق مختلفة لتحليل في الجهات الفاعلة ويرى بعض الباحثين أنه يمكن دمج وتطبيق جميع النماذج على الجهات الفاعلة من غير الدول.¹⁰

⁷ Ibid , P3

⁸ Darwich , MAY, **Foreign Policy Analysis and Armed Non-State Actors in World Politics** ,Op.Cit.,P7

⁹ Ibid.

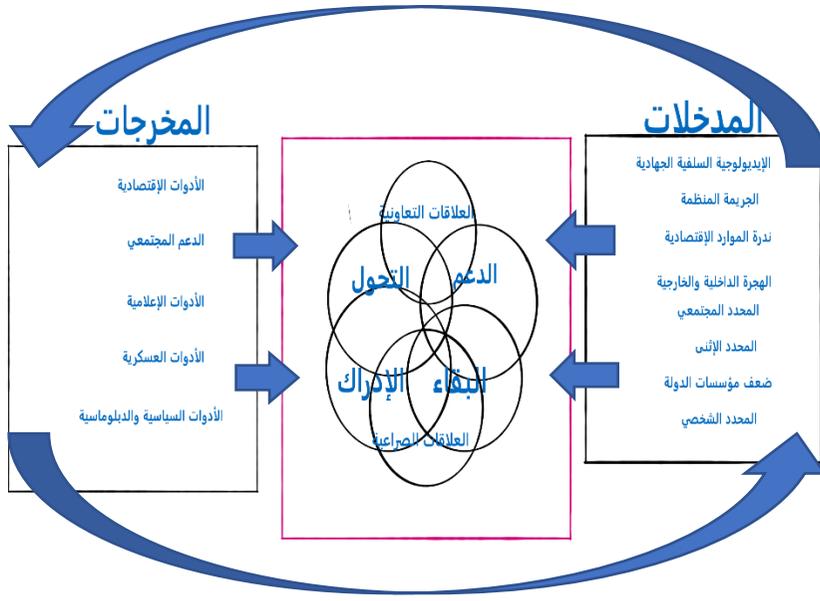
¹⁰ Van den Berge, Wietse . , ” **Analyzing Middle Eastern Armed Non-State Actors’ Foreign Policy**”,Op.Cit,P23.

ومن الصعب وضع خطوط فاصلة بين الجهات الفاعلة من الدول وغير الدول، ويمكن إعتبار هذه الجهات الفاعلة من غير الدول إلى حد ما جهات فاعلة من الدول أيضاً، و بعض الفواعل قد أطلق على نفسه إسم دولة؛مثل الدولة الإسلامية. ومع صعوبة تمييز الفرق بين الدول والجهات الفاعلة من غير الدول، و يبدو أنه من المناسب تحليل الجهات الفاعلة من الدول ومن غير الدول باستخدام نفس النماذج التي تحلل السياسة الخارجية.¹¹

2- الإطار التحليلي للسياسات الخارجية للتنظيمات الجهادية في منطقة الساحل والصحراء :

يعتمد الإطار التحليلي لمنظومة سياسات التنظيمات الجهادية في الساحل والصحراء، على كونها تعمل في إطار بيئة مفتوحة، تتأثر بمحددات، بعضها خاص بها (داخلي) والآخر خاص بالبيئة المحيطة والفواعل الأخرى، وكون هذه التنظيمات لها دورات حياة، تشبه جيولوجياً الكائنات الحية من حيث محاولتها البقاء والتمدد، والحفاظ على حياتها وتتطلب محددات إقتصادية وإجتماعية وسياسية، وتستخدم أدوات لذلك، وبالتالي تؤثر وتتأثر وتتفاعل مع البيئة المحيطة، والفواعل الأخرى، عن طريق الدعم أحياناً، أو الصراع والقتال أحياناً أخرى. وتظل هذه الإشكاليات مطروحة في مجال تحليل السياسة الخارجية، وتحتاج إلى المزيد من الدراسات، مع تطوير نشاط الفواعل من غير الدول خارج إطار الدولة القومية.

¹¹ Ibid,27



بيئة التنظيمات الجهادية في الساحل والصحراء

(مخطط: نموذج لتحليل نظم السياسة الخارجية للتنظيمات الجهادية في الساحل والصحراء)¹² ومع تزايد دور الجهات الفاعلة المسلحة من غير الدول في السياسة الدولية، تبرز الحاجة إلى أدوات لتحليل سياساتها الخارجية، وعادة ما يتم التعامل مع السياسة الخارجية بطريقة تركز على الدولة، ويرى بعض الباحثين أن هناك حاجة إلى نماذج جديدة للتحليل، بينما يرى البعض الآخر توسيع مناهج التحليل القائمة لتشمل

¹² المصدر: المخطط من إعداد الباحث.

الجهات الفاعلة من غير الدول، ولا سيما الجهات الفاعلة المسلحة من غير الدول.¹³

ويمكننا وضع تصور لنموذج لتحليل السياسة الخارجية للتنظيمات الجهادية، وذلك من خلال تحليل النظم لهذه التنظيمات، و تحدث تفاعلات داخل البيئة السياسية، من خلال العلاقات بين التنظيمات الجهادية ذاتها سواء كانت علاقات تعاون أو صراع .

ومن أهم التفاعلات السياسية (الإدراك)، والذي يعتمد على التعليم، والسيطرة، والوسائل المعلوماتية والقدرات الإستخباراتية للتنظيمات الجهادية، والأدوات السياسية، والإعلامية، والعسكرية، كما أن التحول و تجنيد الأفراد يمثل محدد هام للغاية؛ حيث يتأثر الأفراد بالدعاية الإعلامية، وبالأيديولوجية السلفية الجهادية، وبالتالي يكون على إستعداد للقيام بعمل جهادي قتالي، وفي ذات الوقت فإن الفرد الذي يقوم بعمل جهادي وخاصة الأعمال التي تظهر كأعمال بطولية مثل " الإستشهاد"، ويتم إستغلاله وتسويقة إعلامياً مرة أخرى، ويكون بالتالي ملهماً لأفراد آخرين، ليسلكوا نفس الطريق، لتحقيق الغاية، والأهداف التنظيمية، وبالتالي يكون هناك تفاعل وتناسب وتطابق بين الأنظمة الفرعية للنظام، وبالتالي فإن أى خلل، أو خرق، أو تعطيل للنظام الفرعي، يؤدي إلى تعطيل النظام وإفشاله أو على الأقل إبطاءه وإضعافه.

و يمكننا فهم وتحليل عناصر قوة النظام، وطرق دعمه، والإبقاء عليه حياً وقائماً، كما يمكن إستخدام نفس التحليل من قبل القوى المعادية لها عن طريق معرفة نقاط

¹³ Van den Berge, Wietse, " Analyzing Middle Eastern Armed Non-State Actors' Foreign Policy", Op.Cit,P27.

الضعف ،وطرق إفشال النظام ،وبالتالي تستخدمه الحكومات ضد التنظيمات الجهادية .

ويُشبه بعض الباحثين الفواعل المسلحة من غير الدول بذات المنظومة الحيوية للبشر ،فتمر التنظيمات الجهادية وغيرها من الفواعل من غير الدول بمراحل حيوية مثل البشر ؛ كالحمل ،والميلاد ،والنمو ،والشيخوخة ،والموت ،ويمكنها الإستمرار والبقاء طالما حافظت على (صيانة النظام) والحفاظ على مقوماته ،وقد تتعرض كذلك للموت المفاجئ، فالمسارات الحيوية ليست مسارات ثابتة خطأً ،بمعنى أن التنظيم الجهادي قد يولد ثم يموت مباشرة ،أو قد يتم التحول من مرحلة النضوج إلى الحمل ،بحسب التفاعلات مع البيئة المحيطة ،وبين النظم الفرعية ذاتها ،كما تؤثر العوامل الشخصية ،على صانع القرار السياسي،ويمكننا تحديد ثلاثة مستويات للتحليل هي البيئة، والنظام الأساسي، والنظم الفرعية ،وبتحليل بعض النظم الفرعية مثل الدعم والإدراك والحفاظ على البقاء والتحول يمكننا التعرف على أنماط السلوك والتفاعلات بين النظم الفرعية والبيئة والنظام الرئيسي ،والتي تنتج عنها مخرجات ،وتستمر هذه العمليات من خلال تغذية عكسية في أى مرحلة من المراحل¹⁴ .

كما أن المخرجات تحدث من خلالها تغذية عكسية للنظام ،وبالتالي تستمر العملية السياسية دون توقف ،ولا يحدث ذلك بشكل ذاتي وثابت، فالأمر ليس ميكانيكياً وآلياً

¹⁴ Troy, S. Thomas. And William D. Casebeer., Violent Non-State Actors: Countering Dynamic Systems, **Strategic Insights**, Volume III, Issue 3 (March 2004), P8.

؛ فالتحليل يفسر علاقات إجتماعية وإنسانية معقدة ،ولتحليلها لا يمكن الإعتماد على تحليل النظم دون الإعتماد على السلوك الإنساني¹⁵ .
و قد يحدث تأثير من البيئة على المخرجات ومن المخرجات على المدخلات ،فالنظام فى حالة حركة مستمرة ،ويتأثر بالأحداث والنشاط السياسي لفواعل دولية أخرى ،مثل أن تتدخل قوة دولية عسكرياً (فرنسا على سبيل المثال) وبالتالي تؤثر على أنشطة التنظيمات الجهادية،فهى قد تحجم إنتشارها وتوثر على قدراتها العسكرية ،لكنها فى ذات الوقت تزيد من علاقة التعاون بين التنظيمات الجهادية لمواجهة (العدو) الخارجي بدلاً من علاقة الصراع بينها ،وكذلك يزيد التجنيد وسط الشباب فى مناطق السيطرة الذين يعتبرون أن التدخل الأجنبي(غزواً أجنبياً) يحمل صبغة العداء الديني ،وينضمون للتنظيمات الجهادية،وتزيد الأيديولوجية من قوة التأثير الجهادي ،وبدلاً من تحقيق نجاح سياسي وعسكري للتدخل الأجنبي ،يأتى التدخل بنتائج عكسية.

وتمثل مدخلات النظام السياسي ندرة الموارد الإقتصادية ،والصراع عليها ،وانتشار الفقر،وهشاشة وضعف الدولة وعدم سيطرتها على أراضيها ،وكذلك الأيديولوجية الجهادية التى تمثل الأساس السياسي والمنطلق العقيدى،وبينها علاقات متشابكة ،وتفاعلات مع بيئة النظام وكذلك المخرجات سواء عمل عسكري أو أدوات إقتصادية وإعلامية وإجتماعية ،والتي تحدث منها مرة أخرى تغذية عكسية ، تمثل دعم

¹⁵ أهمل ديفيد إيستون فى نموذج البعد الإنساني فى تحليل النظم ،بالرغم من أنه استقى تحليله من علم الأحياء،فالنظام الحيوي لابد أن تقوم أعضاء الكائن الحي فيه بوظائفها على أتم وجه لكي يستمر فى الحياه .

للمزيد أنظر: عبد الغفار رشاد القسبي،مناهج البحث فى علم السياسة ،الكتاب الأول :التحليل السياسي ،(القاهرة:مكتبة الآداب ،2004) ، ص165-169.

للمدخلات مرة أخرى، وهكذا تحافظ على دورة الحياة والبقاء مثلها مثل الكائن الحي.¹⁶

مثلاً؛ فإن العاطلين عن العمل يتأثرون بندرة الموارد والضغط الديموغرافية والجريمة والفساد والحرمان الاجتماعي والاقتصادي وكلها عوامل تجعل من الولاء الوطني أمراً صعباً للغاية، وبالتالي يكون الانضمام للتنظيمات الجهادية أكثر سلاسةً ويسراً.¹⁷

ويحدد النموذج بعض الوظائف الرئيسية ومُدخلات النظام التي تركز عليها الفواعل العنيفة من غير الدول - ومن أهمها التنظيمات الجهادية - وهي التجنيد (والتحول)، أو التوظيف، والحصول على الموارد، وتلقى دعم أصحاب المصالح، وجمع المعلومات الاستخباراتية، وبالتالي يتم خروج مخرجات من النظام وهي العمليات العنيفة، والخدمات، والأيدولوجية.¹⁸

و الأيدولوجية السلفية الجهادية تُعتبر مُدخلاً رئيسياً للنظام، والتنظيمات الجهادية تستخدم الدين والأيدولوجية لنزع الشرعية عن هياكل السلطة القائمة في الدولة، وتستخدم الإسلام لخلق هوية دينية لدى القبائل في الساحل والصحراء، وقد زاد ذلك

¹⁶ OECD/SWAC (2020), **The Geography of Conflict in North and West Africa**, West African Studies, OECD Publishing, Paris, <https://doi.org/10.1787/02181039-en>, P 33.

¹⁷ For more details: Troy, S. Thomas., and Stephen D. Kiser., **Lords of the Silk Route: Violent Non-State Actors in Central Asia**, USAF Institute for National Security Studies USAF Academy, Colorado, 2002. <http://www.usafa.af.mil/inss>, Accessed on 23 June 2021, P22

¹⁸ Troy S. Thomas and Stephen D. Kiser, **Lords of the Silk Route: Violent Non-State Actors in Central Asia**, Op.Cit., P22.

من شرعيتهم بين جيل الشباب، بشكل أفضل من الهوية القبلية والإثنية، فالإسلام يجمع كل القبائل، بينما الخلافات الإثنية تفرقها وتزيد من إمكانية الصراع.¹⁹ وأما النظم الفرعية للتنظيمات الجهادية فيتم دعمها من خلال التمويل عبر عدة مصادر، مثل؛ الجمعيات الخيرية، أو الخطف مقابل الفدية، أو التجارة وغسل الأموال، وكذلك الدعم من خلال الإعلام الصوتي والمرئي والرقمي، والتجنيد من خلال المدارس الدينية، وغيرها.

وأما صيانة النظام والمحافظة عليه فتكون من خلال التنشئة الاجتماعية والتربية الجهادية وبناء الثقافة المتوافقة مع المنظومة، ووضع نظم للثواب والعقاب بغير الحفاظ على النظام، ويعتبر تطبيق الشريعة داخل مناطق السيطرة صيانة للنظام. ويؤدي ضعف وهشاشة الدولة، إلى انعدام الأمن والفقر، وكذلك العنف المرتبط بالسكان المهمشين اجتماعياً، ولا سيما من الشباب ويكون على شكل عنف وإنضمام للعصابات، أو النزاع على الهوية، أو العنف القائم على التباين الإثني .

و العديد من الفواعل العنيفة من غير الدول تشترك في مجموعة من الخصائص، بما في ذلك عناصر الجريمة المنظمة، و تهريب الأسلحة عبر الحدود، واستغلال المهاجرين غير الشرعيين، واستخدام العمل المسلح العنيف للوصول لأهداف المنظمة.²⁰

¹⁹ McCullough, A, **The legitimacy of states and armed non-state actors**, OP.CIT., P18.

²⁰ For more details :Brandon M. Boylan, “**A Typology of support for Violent non-state actors**”, Department of Political Science University of Alaska Fairbanks, Western Political Science Association Annual Meeting April 17-19, 2014 Seattle, Washington, PP5,30 At: <http://www.wpsanet.org/papers/docs/Boylan%20WPSA%20Paper.pdf>

أما ضعف وهشاشة الدولة فهو متغير رئيسي في النظام، ونشر الأيديولوجية ، و تعبئة الهوية ،عامل تفسيري قابل للتطبيق بقوة في حالة التنظيمات الجهادية كفاعـل مسلحة من غير الدول ،والتي تعمل في بيئة خصبة ،حيث الدولة الهشة أو الفاشلة ،فيصبح بديلاً عنها في تنفيذ أدوار الدولة مع السكان المحليين من حيث حفظ الأمن وتوفير المتطلبات الأساسية ،والسيطرة الكاملة كدولة (حقيقية) ،أو دولة أولية **Proto State**.²¹

وتشكل منطقة الساحل والصحراء بذلك نموذجاً هاماً في تجنيد العناصر ودعم المدخلات ، عن طريق الأدوات الإعلامية ،فتحدث تغذية عكسية للنظام، كما أن هناك أهمية خاصة لندرة الموارد الإقتصادية والمناخ والتصحر وشح المياه والضغط الديمغرافية،والتي تكتسب أهمية بوصفها عوامل تفسيرية في التحول من الحرمان الفردي السلبي إلى العمل الجماعي العنيف.²²

وتعمل التنظيمات الجهادية في سياق بيئة مفتوحة منظمة والتي تتكون من مجموعة من النظم الفرعية تتفاعل مع بعضها البعض ومن ثم تشكل النظام بأكمله ،ولفهم المخرجات علينا ان نفهم البيئة وسلوكيات المحددات التي توجد داخل هيكل النظام نفسه.²³

²¹ Brynjar, Lia. ,”Understanding Jihadi Proto-States Author(s)” ,**Perspectives on Terrorism**, Vol. 9, No. 4, Special Issue on the Islamic State (August 2015), pp. 31-41.

²²Troy, S. Thomas. and Stephen, D. Kiser., **Lords of the Silk Route: Violent Non-State Actors in Central Asia**, USAF Institute for National Security Studies USAF Academy, Colorado,2002. At <http://www.usafa.af.mil/inss> ,accessed on 23 june2021.P24.

²³Ibid,P 26.

وفي نفس الوقت توجد معوقات ومثبطات للنظام الرئيسي والنظم الفرعية، تتمثل في أسباب داخلية خاصة بالتنظيمات الجهادية نفسها وسلوكياتها، ومحددات خارجية مثل التدخلات الحكومية والدولية لمواجهة التنظيمات الجهادية، بالقوة الناعمة **Soft power** أو بالقوة الصلبة **Hard power** مثل التدخل العسكري المباشر .

وبقاء النظام وإستمراره يرتبط بالإستقرار والتوازن داخل النظام نفسه، وهذه مفاهيم إستراتيجية ثابتة تتعارض في ظاهرها مع التغيير السياسي المستمر، ولكن هناك نوع من التناسق السلوكي، والتوازن والتفاعل الذي يجعل الحركة مستمرة في النظام السياسي مستمرة، وليس بمعنى الإستقرار أى الثبات التام، بل نوع من الإستقرار وليس الكمون والثبات.

فهناك حركة وتفاعل مستمر بين جميع عناصر النظام، وتغذية عكسية، وكل ذلك يخلق توازناً وإستقراراً، فلا يعمل نظام فرعي دون آخر، فالكل يتفاعل ويؤثر في النظام وينتج عنه مخرجات تساهم في دعم المدخلات عبر التغذية العكسية، والتفاعل مع البيئة، وهكذا يستمر النظام .

و إفشال أى نظام فرعي سيؤثر سلباً على النظام ككل، وبالتالي تستخدم الحكومات الوطنية والنظام الدولي أدوات لإفشال نظم فرعية في بيئة التنظيمات الجهادية للتأثير عليها، وعلى سبيل المثال تجفيف منابع التمويل وتحجيم موارد التنظيم والتمويل، الذي ينتج عنه فشل في النظام الفرعي، ويؤثر في العمل العسكري والإعلامي، والقدرة على التجنيد، ولكن النظام هو في حالة حركة مستمرة، فيقاوم هذه الإجراءات المضادة، سواء بالبحث عن مصادر بديلة للتمويل، أو تعويض الفاقد بشكل آخر .

وهذا النظام مع شدة تعقيده إلا أنه يتميز بالحركة المستمرة، ولذا فهو يستطيع البقاء والتمدد، كما أن البيئة والظروف الدولية في عصر العولمة أضعفت سيادة الدولة

الوطنية ، وأعطت للتنظيمات مرونة كبيرة في تعويض الخسائر ، والاستمرارية رغم مجابقتها، ورغم تحالف العالم ضدها ، إلا أنها لاتزال باقية ومستمرة في العمل ، ولم يتوقف النظام عن العمل .²⁴

وأما محدد (التحول) ، فاعتمد كثير من الباحثين على تفسير تجنيد وتحول أفراد إلى التنظيمات الجهادية بناء على محدد ندرة الموارد الإقتصادية ، والفقر ، والضغط الديمغرافي ، وفشل الدولة .²⁵

و يرى الباحث أن أهم مُدخل للنظام يؤثر على تحول الأفراد وتجنيدهم في التنظيمات الجهادية هو الأيديولوجية السلفية الجهادية ، فالمحرك الأهم للنظام هو مفهوم العقيدة والدين والدفاع عن الإسلام ونصرة المسلمين ورفع الظلم عنهم ، هذه المعاني هي التي تجعل من جميع الأفراد مع إختلاف إثنياتهم ، وثقافتهم ، ومستواهم الإقتصادي ، ووضعهم المجتمعي ، يضحى بنفسه في سبيل هذا الإعتقاد ، لذا فهي المدخل الأهم ، وليس الوحيد ، والمحرك الرئيسي للنظام ، وهو الذي يضمن للنظام الإستمرار ، ويحافظ على صيانتها المستمرة و قدرته على التجنيد والتمويل والدعم .

²⁴ وهي داعم قوى لصالح التنظيمات الجهادية العولمة وثورة الإتصالات التي قوضت سيادة الدولة من خلال المساهمة في تقويض سلوكيات وأهداف قانون الأمن القومي ، مع وجود فواعل خارجية ودولية مؤثرة في النظام .

²⁵ Dentice, Giuseppe, "Terrorism In The Sahel Region: An Evolving Threat On Europe's Doorstep", **EUROMESCO Policy Brief**, NO.80, 19 FEBRUARY, 2018, P2-3.

ثانياً: الواقع الجيوبولوتيكي للتنظيمات الجهادية في منطقة الساحل والصحراء :

1- البيئة الطبيعية في الساحل والصحراء وأثرها على التنظيمات الجهادية :

تتميز منطقة الساحل والصحراء بالمساحات الشاسعة والمقفرة والمتقلبة مناخياً، و التي غالباً ما تكون بعيدة عن متناول سيطرة ونفوذ الدولة ، كما تعاني منطقة الساحل من التوترات العرقية والدينية وعدم الاستقرار السياسي والفقر والكوارث الطبيعية. وفي السنوات الأخيرة ، أصبحت منطقة الساحل في دائرة الضوء العالمية بسبب المجاعات والإرهاب والتمرد المناهض للدولة، والأسلحة والمخدرات والاتجار بالبشر، هذه التطورات هي نتاج ديناميكيات محلية وعالمية.²⁶ وأصبح تحليل آثار المناخ وجيوبولوتيكا السكان والموارد الطبيعية مرتبطة بجميع أنواع التفاعلات السياسية في الساحل والصحراء.²⁷

و توضيح أبعاد التنافس الدولي ونشاط التنظيمات الجهادية وأثرهما على منطقة الساحل والصحراء الأفريقية يتطلب فهم ودراسة جيوبوليتيكية وإستراتيجية للمنطقة. وفي ظل مزيج معقد من الأسباب والدوافع يتمثل أبرزها في الإستعمار وآثاره، وأزمة الهوية والاندماج الوطني والتدخلات الأجنبية وفشل نظم الحكم بعد الإستقلال في التعامل بحكمة وفاعلية مع قضايا الإختلاف الإثني وغيرها ، وفي ضوء ذلك فمنطقة الساحل تمثل إحدى الفضاءات الجيوبوليتيكية التي جذبت إهتمام الدوائر السياسية والبحثية بعد ان كانت منطقة مهملة ومعزولة سياسياً وإقتصادياً زمن

²⁶ مصلوح، كريم، الأمن في منطقة الساحل والصحراء في إفريقيا، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014)، ص7.
²⁷ المرجع السابق، ص33.

الحرب الباردة، وذلك ليس بالنظر للتفاعلات التي أفرزتها، ولكن لحسابات متعلقة بالاهتمام الدولي الجديد وارتباطات مصالح الأطراف والقوى الخارجية التي تريد حمايتها.²⁸

والضغوط البيئية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية على شعوب الساحل والصحراء مصادر متنوعة لانعدام الأمن ويمكنها جعل الأفراد عرضة للتحويل إلى التنظيمات الجهادية وأهمها ندرة الموارد الإقتصادية، والضغوط الديمغرافية، والحرمان الاجتماعي والاقتصادي، والجريمة المنظمة والفساد، وهي تعمل بشكل ديناميكي وتمثل عنصراً هاماً في عملية التجنيد والدعم للتنظيمات الجهادية، وتبقى الأيديولوجية محركاً رئيسياً للعمل في النظام.²⁹

ويسهم تغير المناخ بشكل متزايد في ضعف وهشاشة الدول، وخلق فراغ أمني وسياسي، ويرجع ذلك أساساً إلى المساهمة في الصراعات حول الموارد الطبيعية وانعدام الأمن في المجتمعات. و بالتالي يزداد نشاط التنظيمات الجهادية، وتصبح البيئة خصبة لنموها، ويمكنها العمل بسهولة أكبر في هذه البيئات الهشة والمتأثرة

²⁸Simon, Luis., Mattelaer ,Alexander., and Hadfield ,Amelia., “A Coherent EU Strategy for the Sahel,” European Parliament Directorate-General for External Policies, EU Doc.,available at: https://www.ipinst.org/wp-content/uploads/publications/ipi_e_pub_mali_and_sahel__2_.pdf, P19.,Accessed on 22 Dec.2020.

²⁹ مصلوح، كريم، الأمن في منطقة الساحل والصحراء في إفريقيا، مرجع سابق، ص38.

بالصراعات حيث لا تملك الدولة سلطات وهو ما يطلق عليه (الفضاء غير المحكوم) وبالتالي تفنقر الدول والحكومات الرسمية إلى الشرعية.³⁰

وتحاول التنظيمات الجهادية إستغلال الأوضاع القائمة ،و أيضاً سد الفجوة التي خلفتها الدولة من خلال توفير الخدمات الأساسية للجماهير من أجل اكتساب الشرعية وزيادة الدعم لها بين السكان المحليين.

و تغير المناخ يتحدى بشكل متزايد قدرات الدول على تقديم الخدمات وتوفير أسباب الأمن والاستقرار، ويمكن أن تؤدي ظروف التغيرات المناخية إلى تدمير النسيج الاجتماعي والعلاقة بين الدول وشعبها.³¹

ويعتبر تغير المناخ مسبباً لعدم الاستقرار، بسبب تأثيره على مجموعة من التهديدات الأخرى القائمة بالفعل، فعلى سبيل المثال، يمكن أن يؤدي نقص الغذاء بسبب إرتفاع درجات الحرارة وزيادة عدد السكان إلى صراعات على الموارد الإقتصادية، مما قد يدفع بزيادة الهجرة إلى منطقة أكثر ثراء بالموارد، وتغير المناخ قد يزيد من الضغط على الموارد الإقتصادية والمياه في تلك المنطقة، ويبدأ دورة جديدة مرة أخرى.³²

³⁰ مصلوح ،كريم ، الأمن في منطقة الساحل والصحراء في إفريقيا ،مرجع سابق، ص37،35.
³¹ رسولي، أسماء ، التهديدات الأمنية في الساحل الإفريقي بين أدوار الدول الإقليمية والقوى الكبرى بعد أحداث سبتمبر 2001" أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية-تخصص علاقات دولية"،جامعة باتنة -كلية الحقوق والعلوم السياسية ،2018، ص94-95.

³² European Commission 2008: **Climate Change and International Security**. Paper from the High Representative and the European Commission to the European Council.,available in

وبالإضافة للمناخ وأثره على الأمن والاستقرار في الساحل والصحراء، فإن هناك أهمية كبيرة لدراسة الطبيعة الجيولوجية للمنطقة وتضاريسها وهي هامة للغاية للتنظيمات الجهادية، و الجريمة المنظمة، فمن خلال هذه التضاريس يمكنهم الاختفاء، وإخفاء السلاح والمؤن، ويمكنهم أيضاً إخفاء الرهائن المختطفين.³³ كما أن هذه التضاريس مع المساحة الشاسعة للمنطقة يجعل المنطقة مهددة بشكل أكبر حيث أن الدول لا تستطيع فرض الرقابة على الحدود، ولا يمكنها دخول هذه المناطق لخطورتها.³⁴

2- الموارد الإقتصادية وأثرها على التنظيمات الجهادية في الساحل والصحراء :
تتميز منطقة الساحل والصحراء بتراجع النمو الإقتصادي، وعدم إستخدام الموارد و عدم عدالة التوزيع، وهذا تسبب في صراعات إثنية، ومن أوضح الأمثلة على ذلك تمرد الطوارق في مالي والنيجر.³⁵ وتزداد المنافسة المحلية على الموارد المحدودة وتصبح أكثر عنفاً، ويمكن أن يخلق ذلك حلقة مفرغة تؤدي فيها الصراعات المتعلقة بالموارد المتصلة بتغير المناخ إلى

http://www.consilium.europa.eu/uedocs/cms_data/docs/

[pressdata/en/reports/99387.pdf](http://www.consilium.europa.eu/uedocs/cms_data/docs/pressdata/en/reports/99387.pdf). Accessed on 12 may 2021.

³³ رسولى، أسماء، التهديدات الأمنية في الساحل الإفريقي بين أدوار الدول الإقليمية والقوى الكبرى بعد أحداث سبتمبر 2001، مرجع سابق، ص 96.

³⁴ مصلوح، كريم، الأمن في منطقة الساحل والصحراء في إفريقيا، مرجع سابق، ص 42.

³⁵ زهيرة، مزارة، الإستراتيجية الأمنية للدول الإقليمية تجاه منطقة الساحل الأفريقي (دراسة

حالة: الجزائر، فرنسا)، رسالة دكتوراة-تخصص دراسات أوروبتوسطية، الجزائر، كلية الحقوق

والعلوم السياسية، جامعة حسيبة بن بوعلى الشلف، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجزائرية، 2018، ص 85-86.

تفانم هشاشة الدول، الأمر الذي يعول بدوره بالفائذة على التنظيمات الجهادية واستغلالها للظروف البيئية والسياسية ، مما يزيد من ديناميات العنف والصراعات التي تزيد من زعزة الاستقرار، وهذا يظهر مرة أخرى الأهمية الاستراتيجية للموارد الطبيعية وكيف تنظر بعض التنظيمات الجهادية لهذه المسائل في استراتيجيتها. وكلما أصبحت الموارد أكثر ندرة، كلما كان لمن يسيطرون عليها المزيد من السلطة. كما يزيد من حدة المشكلة سوء إدارة الدولة للموارد، حيث لا تتمكن مؤسسات الدولة من إدارة الموارد الطبيعية بشكل عادل، و التنافس على الموارد القليلة، و من المرجح أن يؤدي إلى العنف وحالات الهشاشة .³⁶

3-الوضع الإثنى وأثره على التنظيمات الجهادية في منطقة الساحل والصحراء :

تعتبر منطقة الساحل والصحراء نموذجاً مثالياً للتنوع الإثنى ،حيث تلتقي فيه مجموعة كبيرة ومتنوعة من الأعراق، وهذا بدوره يشكل أرضاً خصبة للصراع بسبب التنافس على الموارد المحدودة، وصراع على السلطة داخل المنطقة الواحدة، والتميز العنصرى والقبلي الذي يشكل تهديداً دائماً ومستمراً لوجود دولاً قوية ،أوحتى دولاً بمفهوم الدولة الموحدة والمستقرة ،وهذا بدوره يؤدي إلى ضعف الدولة وفشلها .³⁷

³⁶ For more details see : Rüttinger, Lukas.; Gerald Stang, Dan Smith, Dennis Tänzler, Janani Vivekananda, et al. (2015): **A New Climate for Peace – Taking Action on Climate and Fragility Risks..** (Washington: adelphi, International Alert, The Wilson Center, EUISS) at: <https://www.wilsoncenter.org/publication/new-climate-for-peace-taking-action-climate-and-fragility-risks> , Accessed on 22-11-2021.

³⁷ رسولى، أسماء،، التهديدات الأمنية في الساحل الإفريقي بين أدوار الدول الإقليمية والقوى الكبرى بعد أحداث سبتمبر 2001، مرجع سابق، ص97-98.

والساحل والصحراء بيئة خصبة لنمو التنظيمات الجهادية ،وقدرتها على التجنيد ،ولعل النفوذ المتزايد للتنظيمات الجهادية في هذا الإقليم له أسبابه الجوهرية ،ومن أهمها التعقيدات الإثنية ،وضعف الدول في الساحل والصحراء ،بالإضافة إلى إنتشار الجريمة المنظمة التي تقدم بدورها دعماً لوجستياً للتنظيمات الجهادية لا يمكن لها الحصول عليه في الدول المستقرة .³⁸

وهناك ما يدعو إلى الإعتقاد بأن أوجه عدم المساواة إذا ما اقترنت بالتوترات الإثنية أو الاجتماعية تشكل عنصراً أساسياً في التجنيد لصالح التنظيمات الجهادية ،وفي ذات الوقت تعمد التنظيمات الجهادية إلى تقديم الحوافز الاجتماعية والاقتصادية ،فضلاً عن التركيز على الصراع الإثني واستغلال الظروف الإجتماعية .³⁹

ولفهم مشكلات الساحل السياسية لا بد من الأخذ في الإعتبار قضية التعدد الإثني ، ومايترتب عليها من نزاعات داخلية وخارجية .⁴⁰

فالنزاعات الإثنية تشكل الخطر الأكبر على الوحدة الوطنية والأداء الوظيفي للدولة ،ومؤسساتها ،وتعطل مسار التنمية ، وذلك يؤدي مباشرة إلى هشاشة الدولة.⁴¹

³⁸ عبد الحي ،وليد ،"نموذج قياس النزعة الانفصالية للأقليات في الوطن العربي" ، جدييات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي،(بيروت:المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،2014)،ص104.

³⁹ بوسنان،رقية عبدالله ،"الأجندة الأجنبية في دول الساحل ودور الدين في تفكيكها والتصدي لها" ،دراسات جامعة عمار ثلجي بالأغواط ،العدد59 ،2017،ص265.

⁴⁰ زهيرة ،مزارة ، " الإستراتيجية الأمنية للدول الإقليمية تجاه منطقة الساحل الأفريقي" ،مرجع سابق،ص116.

⁴¹ المرجع السابق.

وتشترك دول منطقة الساحل في جملة من الخصوصيات لعل أبرزها التعايش بين القبائل الزنجية التي تشكل الأغلبية في النسيج السكاني والمجموعات البربرية والعربية التي هي أقليات فاعلة توجد اليوم في قلب الأزمات الحادة التي تعرفها المنطقة منذ عقد التسعينات.⁴²

والملاحظ أن هذا التعايش بين مختلف المجموعات الإثنية ليس السمة الغالبة، بل إن الصراع المتعدد الأوجه كان وما يزال يتجدد دوماً على خطوط المواجهة بين المجال الصحراوي القاحل والأشرطة النهرية الخصبة المحدودة، وبين الإقتصاد الرعوي المنهار بفعل الجفاف والإقتصاد الزراعي العاجز عن تأمين الحد الأدنى من الحاجات، وبين المجموعات البدوية العربية البربرية والقبائل الزنجية وبين (المسلمين والمسيحيين) ، فهو صراع متعدد الأبعاد؛ عرقي، وديني، واقتصادي، والتعدد الإثني جعل التجانس الإجتماعي أمراً مستحيلاً، بل يجعل الأصل هو الصراع والقتال بسبب إختلال العدالة التوزيعية بين الإثنيات، وسوء توزيع الموارد الإقتصادية.⁴³

يضاف إلى ذلك أن معظم الدول في منطقة الساحل هي دول هشة (**Fragile States**) وعاجزة عن إدارة هذا التنوع من التناقضات، الأمر الذي سمح بانتشار فواعل عنيفة، متمثلة في التنظيمات الجهادية وشبكتها العالمية، في المنطقة غيرت قيمتها الإستراتيجية دولياً، بحيث تحولت إلى منطقة احتضان وعبور للتنظيمات الجهادية وعصابات الجريمة المنظمة والهجرة غير الشرعية .

42 رسولي، أسماء، التهديدات الأمنية في الساحل الإفريقي بين أدوار الدول الإقليمية والقوى

الكبرى بعد أحداث سبتمبر 2001، مرجع سابق، ص 97.

43 بوسنان، رقية عبدالله، "الأجنحة الأجنبية في دول الساحل ودور الدين في تفكيكها والتصدي لها" ، مرجع سابق، ص 263.

و تتعدد الإثنيات في الساحل والصحراء بشكل كبير، فهناك في مالي الطوارق والكانوري والبولس والسونغاي والنامبارا والجرما والعرب والميني أنكا، وفي النيجر نجد الهوسا والكانوري والطوارق والزرما والعرب وفي تشاد في المناطق شبه الحضرية نجد قبائل الدوزا، والديليا، والتيداتو، وفي المناطق البدوية نجد الأناكازا، والكووردا، والأونيا، والباتا، والبيلتين، بالإضافة إلى العرب السودانيين والباجيرمي والتاما والماساليت والمبوم والتيدا والكريش كانوري، والهاسا.⁴⁴

والمجتمعات في الساحل والصحراء مجتمعات قبلية، والولاء العرقى فيها أقوى من الولاء الوطني، وما زالت القبلية من أهم أسباب النزعة الانفصالية، وانتشار النزاعات الإثنية.⁴⁵

وينقسم السكان في منطقة الساحل إلى: سكان مستقرين (حضر) ، وبدو رُحل، ويهيمن المستقرون وشبه الرحل على السلطة السياسية، وقد حافظ البدو الرُحل على أسلوب حياتهم الخاص؛ فهم يعبرون من بلد إلى آخر و يربون الجمال ، خاصةً على المعابر الحدودية ، وغالباً ما يكون لديهم عدة هويات وجنسيات داخل المنطقة الواحدة الحدودية ، وهذه الجنسيات و المواطنة المتعددة تسمح للبدو بالسفر وتجاوز القيود الحدودية بسهولة ، كما أنه يسمح لهم بالريح من خلال أي مزايا موجودة في أي من البلدان التي يحتفظون فيها بالجنسية.⁴⁶

⁴⁴ بوسنان، رقية عبدالله، "الأجندة الأجنبية في دول الساحل ودور الدين في تفكيكها والتصدي لها" ، مرجع سابق ، صص 263-264.

⁴⁵ زهيرة ،مزارة ، الإستراتيجية الأمنية للدول الإقليمية تجاه منطقة الساحل الأفريقي ، مرجع سابق ، ص 118.

⁴⁶ بوبوش، محمد ، الأمن في الساحل والصحراء، (عمان: دار الخليج ، 2017)، صص 17-18.

كما تتعدد اللغات واللهجات في دول الساحل، وبالرغم من وجود لغة رسمية في الدولة، إلا أن السكان تتعدد لغاتهم بحسب تعددهم الإثني والقبلي، وبالتالي يصعب التواصل بينهم، ويضعف الإلتزام الوطني لحساب الإلتزام الإثني.⁴⁷

4- وضع ودور الدولة في منطقة الساحل والصحراء :

يرجع مصطلح (الدولة)، بمعناه واستخدامه الحديث، إلى المفكر الإيطالي ميكيا فيلي، واختلف العلماء في تعريف (الدولة) إلى فريقين رئيسيين؛ الفريق الأول: يؤمن بنظرية (حق الدولة)، ويعتبرونه تمثيلاً فعلياً للفكرة الأخلاقية، ويمثل هذا الفريق الفيلسوف الألماني جورج هيجل Georg Hegel.⁴⁸

أما الفريق الثاني: فيري أن الدولة هي المنظمة التي تمتلك العنف المشروع وتمارسه على إقليم ما، ويمثل هذا الفريق ماكس فيبر Max Weber، وكذلك يتبنى هذا التعريف الماركسيون ولكنهم يضيفون له "أن الدولة هي نتاج المجتمع في مرحلة ما بين مراحل التطور".⁴⁹

⁴⁷ بوسنان، رقية عبدالله، الأجنحة الأجنبية في دول الساحل ودور الدين في تفكيكها والتصدي لها، مرجع سابق، ص 263-264.

⁴⁸ مسعد، نيفين (محرر)، معجم المصطلحات السياسية، (القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية - جامعة القاهرة، 1994)، ص 119.

⁴⁹ المرجع السابق، ص 119.

أما في القانون الدولي فتعرف (الدولة) أنها تجمعاً للأفراد الذين يعيشون في جزء محدد من سطح الأرض ويُنظمون إجتماعياً ويتفقون على ضرورة أن يُحكّموا، وهذا التعريف يحتوى عدداً من العناصر.⁵⁰

الإجتماع والتعاون بين الناس، والإرتباط بإقليم معين، ووجود منظمة قانونية هي قوة الحكومة والتي يمارس من خلالها القانون جزئياً وبالتالي فيمكن للدستور أحياناً ان يحد من قوتها ويضبط أداءها، وأخيراً التشخيص القانوني بمعنى أن الدولة تعامل كشخص كائن له حقوق، وعليه إلتزامات، وشخصية الدولة منفصلة عن شخصية أعضائها.⁵¹

و يمكن أن يُنظر إلى تعريف المصطلح كجزء من صراع أيديولوجي، لأن التعريفات المختلفة تؤدي إلى نظريات مختلفة عن وظيفة الدولة، ونتيجة لذلك تحقق إستراتيجيات سياسية مختلفة.⁵²

والدولة الهشة، دولة ذات سيادة غير حقيقية، وهي لم تعد قادرة على الحفاظ على وحدتها السياسية والاقتصادية، وبدأت في التفكك، وعلى نقيضها الدولة المتماسكة المسيطرة على حدودها الإقليمية، والتي تؤمن لسكانها القدر المعقول سواء الصحة

⁵⁰ مسعد، نيفين (محرر)، "معجم المصطلحات السياسية، مركزالبحوث والدراسات السياسية، مرجع سابق، ص119.
³ نفس المرجع، ص120.

⁵² Painter, Joe.; Jeffrey, Alex, **Political Geography**, (2nd ed.). London, SAGR Publications Ltd, 2009., P21.

أو التعليم، أو حتى توفير الغذاء، والقادرة على فرض سيطرتها القانونية، ولها إحتكار مطلق لاستخدام القوة المسلحة.⁵³

وتصبح الدولة هشة بفقدانها الوظائف الأساسية للدولة وهي على الأقل: الأمن، وتوفير الإحتياجات الأساسية للشعوب، والشرعية (سيادة القانون)، ويمكن في حالة غياب الوظائف الثلاث أن تشكل خطراً من قبل الجهات الفاعلة المسلحة من غير الدول التي تستغل بشكل منهجي العجز في الحكومة ومؤسسات الدولة الأخرى.

وفي دول الساحل والصحراء بشكل عام وخاصة الدول الخمس الرئيسية لا تسيطر هذه الدول سيطرة كاملة على أراضيها، وهي تتسم أساساً بالصراعات الإقليمية المسلحة حيث تحتل الجهات الفاعلة العنيفة من غير الدول مناطق معينة وتسيطر عليها. ومع ذلك، لا تزال هذه الولايات تقدم الخدمات العامة لغالبية السكان و لا تزال تتمتع بدرجة ما من الشرعية السياسية.⁵⁴

وظهور التنظيمات الجهادية والجماعات المسلحة الأخرى مؤشر قوي على ضعف وهشاشة الدولة ومن أبرز سمات الدول الضعيفة في العلاقات الدولية.⁵⁵

وفي حالة فشل أو انهيار الدولة لا تقوم الدولة بوظائفها الرئيسية الثلاثة بشكل فعال، وتنتهار الدولة على هذا النحو، وقد تكون هناك حكومة مركزية، ولكن في غياب

⁵³ ظريف، شاكرا، أزمة الدولة في منطقة الساحل الأفريقي والصحراء الكبرى : دراسة في

الأسباب والانعكاسات، (بيروت:المجلة العربية للعلوم السياسية، 2014)، ص99.

⁵⁴ المرجع السابق، ص102.

⁵⁵ نفس المرجع، ص101.

الموارد والقدرات والسلطة، فإنه ليس لها أي سلطة حقيقية على الآخرين، يمكن وصف هذا الوضع بالحوكمة دون حكومة، والمعضلة هنا أن منطقة الساحل والصحراء (المحتل) عندما تركه الإستعمار ليستقل قسمه قبلها إلى مناطق نفوذ وتحت مسمى دول و قسمها متعمداً بشكل لم يراع الحدود الإثنية والإجتماعية والقبلية، ولتبقى الصراعات الداخلية والحدودية شاغلاً أكبراً لهذه الدول ومن ثم تكون درجة الإستقلالية عن المستعمر ضعيفة، ويستمر في تحكمه واستنزافه للموارد.⁵⁶

فدول الساحل -الصحراء تعتبر فسيفساء قبلى وإثنى، يحمل كل أسباب الصراع ومن ثم ضعف وفشل الدول، وأغلب المشاكل الداخلية والخارجية لهذه الدول هي بسبب النزاعات القبلية والإثنية، والحدود التي تركها الإستعمار تشكل سبباً مباشراً للصراع، بسبب تفكك وانفصال الجماعات الإثنية والصراع على الموارد، وبالتالي ضعف سيادة الدولة بسبب الإشكاليات الداخلية، والتوتر الدائم مع الدول الأخرى.⁵⁷

لقد أصبحت دول الساحل والصحراء إمتداداً لسياسات الإستعمار وخاصة في استخدام العنف والقمع، وبدلاً من تمكين الدستور والشعب تشكلت ديكتاتوريات تنتهج سياسات أشد أحياناً من حقبة الإستعمار، وتسببت في صراعات داخلية

⁵⁶ بومدين، عربي، أزمة الدولة في منطقة الساحل الإفريقي "دراسة في الاسباب وتحديات البناء"، قراءات إفريقية، الشارقة، المنتدى الإسلامى، العدد 28، 2016، ص 25.

⁵⁷ مصلوح، كريم، الأمن في منطقة الساحل والصحراء في إفريقيا، مرجع سابق، ص 66.

وخارجية مستمرة ،وننتج عنها إنقلابات عسكرية وحروب أهلية ،وإستمرت الدول الإستعمارية كما هي في إستنزاف الموارد الطبيعية .⁵⁸

إن منطقة الساحل هي مساحة جغرافية سياسية معقدة ؛ فمن ناحية، جعلت تضاريس المنطقة وتاريخ الحكم الذاتي الفعلي في بعض مناطق مالي وموريتانيا والنيجر يصعب ممارسة سيطرة الحكومة. وكانت المهام السيادية للدولة، مثل تقديم المساعدة، والأمن والحماية، والتنمية والخدمات العامة، غير كافية في معظم الحالات وأدت إلى تهميش السكان، مما لا يوفر لهم فرص التعليم والعمل، أدى ذلك إلى توترات مع الحكومات المركزية وساهم في زيادة معدل انضمام الشباب للتنظيمات الجهادية .⁵⁹

وهناك طبقات متشابهة من الضعف والصراع و الفساد و المصالح المتضاربة تتميز بها المنطقة بأكملها حيث المجتمعات المحلية فريسة سهلة للشبكات الإجرامية والجريمة المنظمة ،وكذلك شبكات التنظيمات الجهادية.⁶⁰

5-شبكات الجريمة المنظمة فى الساحل والصحراء : أدت هشاشة وضعف قبضة الدول، وإنعدام الأمن تماماً أحياناً ، إلى زيادة النشاط الإجرامى خاصة الجريمة المنظمة ،مثل تهريب السلاح والمخدرات ،وتهريب السلع مثل السجائر ،والخطف

⁵⁸ عبد الرحمن،حمدي ، إفريقيا والقرن الواحد والعشرين -رؤية مستقبلية ،(القاهرة:مركز البحوث والدراسات)،1997،ص9.

⁵⁹ رسولى،أسماء ، التهديدات الأمنية فى الساحل الإفريقي بين أدوار الدول الإقليمية والقوى الكبرى بعد أحداث سبتمبر 2001"،مرجع سابق،ص118-119.

⁶⁰ مصلوح ،كريم ،الأمن فى منطقة الساحل والصحراء ،مرجع سابق،ص51.

من قبل التنظيمات الجهادية مع طلب فدية، والهجرة غير الشرعية، والإتجار في البشر، فالعلاقة طردية بين ضعف الأمن وهشاشة وفشل الدول وارتفاع وتيرة النشاط الإجرامي.⁶¹

وعلى مر التاريخ، كانت منطقة الساحل والصحراء معبراً للتجارة بين شمال أفريقيا وغربها، وساهمت طرق القوافل في تطوير الإمبراطوريات الكبرى مثل إمبراطوريات مالي وسونغاي، وإزدهار مدن مثل تمبكتو وغانو وأغاديز، وكانت تجارة الذهب والملح والتمور والحبوب والماشية والحرف اليدوية والكتب مزدهرة للغاية.⁶²

وتطورت المنطقة لتكون معبراً لشبكات الجريمة المنظمة مثل شبكات الهجرة غير الشرعية، وشبكات التهريب بأنواعها، خاصة المخدرات والسجائر، التي تتعاطي الاتجار بالمخدرات وتنشط في منطقة الساحل والصحراء شبكات أمريكا اللاتينية التي تهرب الكوكايين، والشبكات الآسيوية، والشبكات المحلية، والمهاجرين الأفارقة الذين يعيشون في الغرب، وتتعاون هذه الشبكات مع أعضاء الحكومة الفاسدين والسلطات المحلية. ولذلك فإن إقتصاد الجريمة المنظمة لا يتكون فقط من

⁶¹ بوسنان، رقية عبدالله، الأجنحة الأجنبية في دول الساحل ودور الدين في تفكيكها والتصدي لها، مرجع سابق، ص 265.

⁶² Gaye, Serigne Bamba, **Connections between Jihadist groups and smuggling and illegal trafficking rings in the Sahel**, (Dakar: Friedrich-Ebert-Stiftung Peace and Security, Centre of Competence Sub-Saharan Africa, 2018). P8.

جهات خارجية ، ولا يمكن أن يستمر دون تواطؤ محلي على كل مستوى من مستويات المجتمع.⁶³

وتقدر بعض التقارير حجم تجارة الكوكايين عبر منطقة الساحل والصحراء بحوالي 900 مليون دولار سنوياً، ويتم مرورها من المحيط الأطلسي إلى أوروبا عبر الساحل والصحراء ، كما أن التجارة في المخدرات في المنطقة مرتبطة ببعض شبكات التنظيمات السياسية المسلحة.⁶⁴

6- شبكات التنظيمات الجهادية في الساحل والصحراء :

تعود جذور التنظيمات الجهادية في منطقة الساحل والصحراء إلى تسعينيات القرن الماضي، وتحديدًا بعد إلغاء الحكومة الجزائرية لنتائج الانتخابات التي فازت بها الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وبعدها دخلت الجزائر فيما يسمى العشرية السوداء حيث انتشر القتل والعنف في كل مكان، ونتج عن العمل المسلح للتنظيمات الإسلامية ظهور عدة جماعات وأهمها الجماعة الإسلامية المسلحة (الجيا)، والتي انخرفت بشدة نحو التكفير وقتل المدنيين، واستقل عنها بعض الأعضاء مكونين (الجماعة السلفية للدعوة والقتال) بقيادة حسن خطاب، والذي تبني خطاباً معتدلاً نسبياً مغايراً للجماعة الإسلامية المسلحة (الجيا)، ولكنه قبل قانون العفو الذي دعا له الرئيس الجزائري ودعا لتخلي الأفراد عن سلاحهم ونزولهم من الجبال، وبايعت أفراد

⁶³Gaye, Serigne Bamba, **Connections between Jihadist groups and smuggling and illegal trafficking rings in the Sahel**, Op.Cit, p14.

⁶⁴ بوسنان، رقية عبدالله، الأجنحة الأجنبية في دول الساحل ودور الدين في تفكيكها والتصدي لها، مرجع سابق، ص264.

وقيادات الجماعة السلفية للدعوة والقتال الذين رفضوا قانون العفو (تنظيم القاعدة) ،والذي شكّل من أنقاض الجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية.⁶⁵

وانتشر تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي في الساحل والصحراء ،و كان إنقلاب مالي 2012 وسقوط نظام القذافي في ليبيا ،مرحلة جديدة في تاريخ التنظيمات الجهادية في الساحل والصحراء ،حيث وقعت كميات ضخمة من السلاح الليبي في أيديهم ،كما أن توحيد التنظيمات الجهادية في معارك مالي ضد الحكومة ،وضد الفرنسيين لاحقاً كان نقطة فاصلة ،وبرزت تنظيمات جهادية مثل حركة غرب أفريقيا للتوحيد والجهاد ،وكتيبة الفرقان ،والموقعون بالدم،وكتيبة الملتحمين ،وكتائب ماسينا ،وفيما بعد اندمجت عدد من التنظيمات التابعة للقاعدة وأنصار الدين في تنظيم واحد هو (جماعة نصرة الإسلام والمسلمين JNIM) ،وبرزت في الصحراء وغرب أفريقيا تنظيم(الدولة الإسلامية) متمثلاً في ولايتي غرب أفريقيا وولاية الصحراء الكبرى ،وبذلك أصبح الساحل والصحراء من أهم مناطق النفوذ للتنظيمات الجهادية العالمية عبر الوطنية .⁶⁶

وزادت معدلات العمليات العسكرية للتنظيمات الجهادية بشدة في الساحل والصحراء ،وأصبحت منطقة الإرتكاز الأخطر في العالم ،وسيطرت التنظيمات التابعة لشبكتي القاعدة (جماعة نصرة الإسلام والمسلمين) ،والدولة الإسلامية (ولاية غرب أفريقيا)

⁶⁵ رسولى، أسماء ،التهديدات الأمنية في الساحل الافريقي بين أدوار الدول الاقليمية والقوى

الكبرى ، مرجع سابق ،ص149-150.

⁶⁶ لمزيد من التفاصيل راجع: أبو المعالي ،محمد محمود ، ،القاعدة وحلفاؤها في أزواد..النشأة وأسرار التوسع، (الدوحة-قطر:الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2014).

على مساحات شاسعة وباتت تحكمها وتسيطر عليها ،وتشن الهجمات على دول كثيرة ،مثل الكاميرون والكنغو ووسط أفريقيا .

ومنطقة الساحل والصحراء توفر أرضا خصبة للتنظيمات الجهادية ، نظراً لمزيج من ضعف مؤسسات الحكم، ومحدودية قدرة الدولة على الوفاء بواجباتها وأداء وظائفها بالإضافة إلى الفساد، وانتشار الفقر، والتوترات الإثنية والصراعات العرقية.

ومع توسع تنظيم (الدولة الإسلامية)، دخل في صراع مع تنظيمات جهادية أخرى، لا سيما تنظيم نصره الإسلام والمسلمين التابع للقاعدة، مما حول المنطقة إلى ساحة للتنافس العنيف بين التنظيمات الجهادية التي تسعى إلى تأكيد هيمنتها.

ومع هشاشة الدول ، وعدم توفير الأمن والخدمات الأساسية، تقدم التنظيمات الجهادية نفسها كبديل قوي للدولة، حيث تفرض الأمن ،وتزود السكان المحليين بالسلع والخدمات الأساسية.⁶⁷

ويرى بعض الباحثين وجود علاقة بين التنظيمات الجهادية وشبكات الجريمة المنظمة في الساحل والصحراء ،لتأمين نقل السلاح وتهريب البشر ،كما أن هناك علاقات مصاهرة بين أعضاء وقيادات التنظيمات الجهادية والقبائل التي تنشط في عمليات التهريب ،مثل زواج مختار بلمختار القيادي الجهادي من قبيلة البرابيش.⁶⁸

⁶⁷Dentice, Giuseppe.,”Terrorism In The Sahel Region: An EvolvingThreat OnEurope’s Doorstep”,**EUROMESCO Policy Brief**,Op.Cit,P2.

⁶⁸Gaye ,Serigne Bamba., **Connections between Jihadist groups and smuggling and illegal trafficking rings in the Sahel**,Op.Cit.,P13.

إن العلاقات العابرة للحدود والهياكل التنظيمية للتنظيمات الجهادية تجعلها أكثر مرونة وتحملاً للضربات الأمنية والعسكرية، ولا تُنظم هذه التنظيمات عبر الحدود فحسب، بل تشكل شبكات أيضاً داخلية وخارجية، ولها إتصالات مع التنظيمات الجهادية الأخرى، وتختلف درجة سعي التنظيمات الجهادية إلى السيطرة الإقليمية ففي حين تسعى بعضها بنشاط إلى إتباع إستراتيجية للغزو الإقليمي والدولي وإقامة هياكل حكم تشبه الدولة، تسعى تنظيمات أخرى إلى خلق حالة من إنعدام الأمن وزعزعة استقرار الدول الوطنية دون مطالب ومساعى إقليمية. ويمكن أن تستند هويات أفراد التنظيم إلى العرق أو الأيديولوجية أو الولاء الجماعي ولكن كلها تكون تحت هيمنة الهوية الجهادية والانتماء للتنظيم يعلو على الانتماء الإثني والقبلي، كما تلعب الحوافز الإقتصادية أيضاً دوراً هاماً وتشمل الموارد الطبيعية وبيعها، والزكاة والصدقات، والأنشطة التجارية غير المشروعة.

خاتمة:

إن تحليل السياسة الخارجية للتنظيمات الجهادية في الساحل والصحراء أصبح أمراً حيوياً، وخاصة بعد سيطرة تلك التنظيمات على مساحات شاسعة من هذه المنطقة الإستراتيجية، الغنية بالموارد الإقتصادية، وذات التنوع الإثني، وهذا الواقع الجيوبوليتيكي الذي باتت فيه الدول لا تسيطر بشكل حقيقي على أرضها، وفشلت في تحقيق وظائفها الأساسية بتوفير الأمن، وإحتكار إستخدام السلاح، كما فشلت في توفير الإحتياجات الأساسية للسكان، كما أضعف التعدد الإثني بشدة الانتماء للهوية الوطنية، وتلك البيئة من الناحية السياسية هي بيئة مثالية للتنظيمات الجهادية

،والتي استغلتها بقوة ،ووفرت للمواطنين قدراً من الأمن والاحتياجات الأساسية ،وباتت تقوم بدور الدولة ، ويستلزم تحليل تلك التنظيمات وضع واستخدام نماذج للتحليل ،ولابد من تغيير النظرة الأحادية لمركزية الدولة في تحليل السياسة الخارجية ،حيث أصبحت الفواعل المسلحة من غير الدول تقوم بدور الدول ،ولها من التأثير السياسي أكثر من الدول ،ولكن تبقى إشكالية النموذج الذي يمكن استخدامه في التحليل ،بين إقتراح الدمج بين النماذج الموجودة بالفعل - والتي يتم تطبيقها على الدول - في التطبيق على التنظيمات الجهادية ،وبين بناء نماذج جديدة ،ويرى الباحث أن الإستفادة من جميع نماذج تحليل السياسة الخارجية هو أمر ضروري ، وخاصة أن هذا الحقل مازال في حاجة للمزيد من الأبحاث والدراسات ، وعمل نماذج لتحليل التنظيمات الجهادية والفواعل العنيفة من غير الدول،وتبقى منطقة الساحل والصحراءمنطقة خصبة للبحث والتحليل الجيوبولوتيكي، كماهي خصبة لنمو وتمدد التنظيمات الجهادية .

المراجع:

أولاً: باللغة العربية :

1-الكتب:

- 1-أبو المعالي ،محمد محمود ،القاعدة وحلفاؤها فى أزواد...النشأة وأسرار التوسع، (الدوحة: الدار العربية للعلوم- ناشرون، ط1، 2014)
 - 2- القسبي ،عبد الغفار رشاد ، مناهج البحث فى علم السياسة ،الكتاب الأول : التحليل السياسي ، (القاهرة: مكتبة الآداب، 2004)
 - 3- بوبوش، محمد ،الأمن فى الساحل والصحراء،(عمان: دارالخليج ، 2017)
 - 4-ظريف، شاكرا، أزمة الدولة فى منطقة الساحل الأفريقى والصحراء الكبرى : دراسة فى الأسباب والانعكاسات، (بيروت:المجلة العربية للعلوم السياسية ،2014).
 - 5-عبد الحى، وليد، نموذج قياس النزعة الانفصالية للأقليات فى الوطن العربى"، جدليات الاندماج الاجتماعى وبناء الدولة والأمة فى الوطن العربى، (بيروت: المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات، 2014)
 - 6- مسعد، نيفين (محرر)،معجم المصطلحات السياسية ،(القاهرة: مركزالبحوث والدراسات السياسية -جامعة القاهرة ،1994)،
 - 7-مصلوح ،كريم ،الأمن فى منطقة الساحل والصحراء فى إفريقيا، (أبو ظبى: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ،2014).
- 2-رسائل الماجستير والدكتوراة:

1-زهيرة، مزارة ، الإستراتيجية الأمنية للدول الإقليمية تجاه منطقة الساحل الإفريقي (دراسة حالة: الجزائر،فرنسا) ،رسالة دكتوراة-تخص دراسات أورومتوسطية ،الجزائر،كلية الحقوق والعلوم السياسية ،جامعة حسيبة بن بوعلى الشلف ،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجزائرية،2018.

2-رسولى، أسماء، التهديدات الأمنية فى الساحل الإفريقي بين أدوار الدول الإقليمية والقوى الكبرى بعد أحداث سبتمبر 2001" ،أطروحة دكتوراه فى العلوم السياسية-تخصص علاقات دولية"،جامعة باتنة -كلية الحقوق والعلوم السياسية ،2018.

الدوريات:

3- بوسنان،رقية عبدالله،"الأجندة الأجنبية فى دول الساحل ودور الدين فى تفكيكها والتصدي لها" ، دراسات جامعة عمار ثليجي بالأغواط ،العدد59 ،2017.

4-بومدين،عربى ،أزمة الدولة فى منطقة الساحل الإفريقي "دراسة فى الاسباب وتحديات البناء" ،قراءات إفريقية،الشارقة،المنتدى الإسلامى ،العدد28 ،2016.

ثانياً: باللغة الإنجليزية

Books:

1-Gaye , Serigne Bamba, **Connections between Jihadist groups and smuggling and illegal trafficking rings in the Sahel**,(Dakar: Friedrich-Ebert-Stiftung Peace and Security, Centre of Competence Sub-Saharan Africa,2018).

2-McCullough, A. ,**The legitimacy of states and armed non-state actors**: (UK: GSDRC, Topic guide, Birmingham University of Birmingham,2015)

3- OECD/SWAC (2020) , **The Geography of Conflict in North and West Africa**, (Paris: West African Studies, OECD Publishing).

4- Painter, Joe; Jeffrey, Alex, **Political Geography**, (2nd ed.). (London: SAGR Publications Ltd ,2009).

Periodicals:

- 1-Brynjar ,Lia. ,”Understanding Jihadi Proto-States Author(s)” ,**Perspectives on Terrorism**, Vol. 9, No. 4, Special Issue on the Islamic State, August 2015.
- 2-Darwich ,MAY., Foreign Policy Analysis and Armed Non-State Actors in World Politics: Lessons from the Middle East. **Foreign Policy Analysis**, ,Vol 17, Issue No 4, 2021, p. 1-11.
- 3-Dentice, Giuseppe.,”Terrorism In The Sahel Region: An EvolvingThreat OnEurope’s Doorstep”,**Euromesco Policy Brief**, NO.80 ,19 FEB,2018.
- 4- Van den Berge, Wietse. ,” Analyzing Middle Eastern Armed Non-State Actors’ Foreign Policy”, **Global Security Studies**, Summer 2016, Volume 7, Issue 3,17October2017.

Electronic Sources:

- 1-Brandon, M. Boylan., “A TYPOLOGY OF SUPPORT FOR VIOLENT NON-STATE ACTORS”, Department of Political Science University of Alaska Fairbanks, **Western Political Science Association** Annual Meeting April 17-19, 2014 Seattle, Washington.
<http://www.wpsanet.org/papers/docs/Boylan%20WPSA%20Paper.pdf>
- 2-Rüttinger, Lukas; Gerald Stang, Dan Smith, Dennis Tänzler, Janani Vivekananda et al: **A New Climate for Peace – Taking Action on Climate and Fragility Risks..** (Washington: adelphi, International Alert, The Wilson Center, EUISS,2015)
<https://www.wilsoncenter.org/publication/new-climate-for-peace-taking-action-climate-and-fragility-risks>

3-Simon, Lui.; Mattelaer ,Alexander, and Hadfield ,Amelia, “**A Coherent EU Strategy for the Sahel,**” European Parliament Directorate-General for External Policies, EU Doc ,Available at: https://www.ipinst.org/wp-content/uploads/publications/ipi_e_pub_mali_and_sahel_2_.pdf

4- Troy, S. Thomas. and Stephen, D. Kiser., **Lords of the Silk Route: Violent Non-State Actors in Central Asia,** USAF Institute for National Security Studies USAF Academy, Colorado,2002.
[http://www.usafa.af.mil/inss,](http://www.usafa.af.mil/inss)